الحلقة الثلاثون

مفهوم الصيام في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فقد كان الصوم في الديانة اليهودية رمزا للحداد والحزن ، مرتبطا بذكريات مؤلمة سلفت وكوارث شديدة مضت ، فكان الصوم بهذا الارتباط ذا مفهوم قاتم في الديانة اليهودية ، وهذا تصور خاطئ ، وربط غير مستساغ ، أما في الإسلام فلا ارتباط للصوم بشيء من ذلك ، ولا صلة بينه وبين التشاؤم ، ولا علاقة بينه وبين ما يؤلم النفس من ذكريات خلت وأحداث انتهت ، وإنما كان الصوم في الإسلام ذا مفهوم سار جميل ، يغلب عليه روح التفاؤل والفرح، وهو عبادة مرتبطة بما تتوق إليه النفس المؤمنة من أجر كبير وثواب عظيم ، وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة ، تتحدث عن الصوم وما يرمي إليه من حسن النتائج وجميل الأهداف ، فهو يؤدي إلى تقوي الله وهي أعظم غاية ، وتقوي الله تؤدي إلى رضاه ورضاه يؤدي إلى الأجر العظيم الذي لا يرتبط بمقدار معين ، وإنما هو أجر بلا حساب ، وهذا هو القرآن الكريم يتحدث عن نتيجة من نتائج الصيام وذلك في قول الله تعالي :﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب علي الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (البقرة : ١٨٣).

فهذه الآية تحدثت عن الغاية التي من أجلها شرع الصيام: ﴿ لعلكم تتقون ﴾ وهذا هو الحديث يقول فيه رب العزة - جل شأنه - :

- "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به" . (مسلم).

فهذا الحديث ينسب الصوم إلى الله (فإنه لي) ثم يجازي الصائم علي صومه المضاف إلى الله ، وهو جزاء بلا كمية معينة ، وفي الوقت ذاته يكون متفقا مع الكرم الإلهي الذي لا حدود له (وأنا اجزي به).

وبالنظر إلى الآية والحديث ، نجد الهدف من الصيام واضحا كل الوضوح في الآية ونجد كذلك الجزاء غير محدود في الحديث ، وهذا مما يدخل السرور علي القلب ، ويبعث في نفس الصائم النشاط والفرح ، ويسكب في قلبه الابتهاج والتفاؤل ، بما وعد الله به من الثواب الجزيل والرضا الإلهي ، والإسلام أحاط الصائم بجو من السمو وعظم المنزلة عند الله ، حيث بين أن تلك الرائحة التي تنبعث من فم الصائم هي عند الله أطيب من ريح المسك ، لأن هذه الرائحة مصدرها ذلك الإمساك عن الطعام والشراب ، وإذاً فهي ناشئة عن عبادة وطاعة لله ، وقد بين الحديث ما يؤكد طيب تلك الرائحة حيث قال : " لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك " وإنه من خلال هذا الحديث نجد أن الإسلام يشيع في مجتمعنا الإسلامي جوّ التفاؤل والبشر ، وهو جوّ علي النقيض مما قاله اليهود عن الصوم من أنه يدعو إلى التشاؤم لارتباطه في نظرهم القاصر بأحداث غير سارة .. إن الصوم عبادة يتقرب بها العبد إلي الله ، وليست في الإسلام أحكام قاسية ولا قيود ثقيلة تجعل الصوم مرادفا لتعذيب النفس ، ولذلك كان استحباب السحور وتأخيره ، وتعجيل الفطر وإباحة النوم والراحة في الليل والنهار، والاشتغال بالتجارة والصناعة والزراعة وغير ذلك من الأعمال المباحة المفيدة ، وهذا كله جاء في الإسلام ، خلافا لما في اليهودية ، التي فرضت الإضراب عن العمل والانقطاع للعبادة ، ثم إن الصوم في بعض الديانات ، كان مختصا بطبقة دون طبقة ، وكان عند اليونان خاصا بالإناث ، أما الإسلام فقد أوجبه علي الجنسين ،

وعلي جميع الفئات علي اختلاف مشاربهم ، وهذا تعميم وإطلاق ، وهذا هو القول الرباني : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ .

وبجانب التخصيص الذي عرفت به الديانات الأخرى لم يكن هناك استثناء لأصحاب الأعذار أما الدين الإسلامي ففيه استثناء لأصحاب الأعذار :

﴿ فمن من كان منكم مريضا أو علي سفر فعدة من أيام أخر ﴾ ، ﴿ وعلي الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ (البقرة : ١٨٤).

وهذا يدل علي يسر الإسلام ورحمته ، وكان في بعض الديانات جوع أربعين يوما ، وفي بعضها الاقتصار علي تحريم تناول اللحوم ، وإباحة الفواكه والمشروبات ، أما الإسلام فقد كان تشريعه وسطاً ، فلا شدة قاسية ، ولا رقة متناهية ، بل بين هذا وذاك ، وجاء الصوم في الإسلام متزناً عادلا ، فلا تعذيب للأبدان ، ولا إرهاق يسببه للأرواح ، وليس فيه إرخاء العنان ولا التسريح في روح وريحان . وكان اليهود يقتصرون علي ما يأكلونه عند الفطر ثم لا يعودون إلى أكل أو تمتع . وكان العرب لا يأكلون ولا يتمتعون إذا ناموا ، فجاء الإسلام وألغي تلك القيود ، وأباح الأكل والتمتع بالمباحات بعد الفكر ، إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، وفي هذا الشان يقول رب العزة - جل شأنه - :

﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن . وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ، ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد ﴾ (البقرة : ١٨٧).

ثم إن الصيام في الإسلام مرتبط بالهلال ، ومضبوط بالشهور القمرية ، ولهذا نجد الصوم

في الإسلام غير الصوم في اكثر الديانات القديمة التي كان الصوم فيها مضبوطا بالشهور الشمسية .

أيها الإخوة والأخوات : إن دين الإسلام دين عظيم ، فاليسر واضح في تشريعاته ، والسهولة ظاهرة في أحكامه ، وليس في هذا الدين غلو ولا تعقيد ، ولا هو دين رهبانية ، إنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وهو الدين الذي يلبي حاجة الإنسانية ، ويستهدف رقيها وإسعادها ، وخير البشرية والنهوض بها ، إنه الدين الخاتم الذي لا دين بعده ، ولا رسول بعد من جاء به وهو محمد - عليه الصلاة والسلام - والصوم في هذا الدين أيام معدودة ، وشهر واحد في العام ، وهو يدور مع الأيام ، وقد جاء في هذا الشأن قول الله تعالي :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ (البقرة : ١٨٣).

والتصريح بأن الصوم أيام معدودة ، فيه لفت لأنظارنا وعقولنا ، بأن هذا الصوم يسير في مدته وليس كثيرا في كميته ، وأن روح اليسر تتجلى فيه ، وصدق رب العزة حيث قال : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ (الحج : ٧٨).

وحيث قال : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ .

وصدق الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - حيث قال :

- إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا . (البخاري).

أخي الصائم . أختي الصائمة : ليكن سلوكنا في غير رمضان كسلوكنا في رمضان ، لنكن

بعد انتهاء هذا الشهر كما كنا فيه ، من حب المساجد ، وأداء الصلاة ، وتمسك بالدين وتحل بالأخلاق الفاضلة ، لنكن محافظين علي الثروة التي حصلنا عليها في هذا الشهر ، وبهذا نعز ونسعد ، والله الموفق .